محمـــــد إقبـــــال

شاعر الشرق والاسلام

١٣٨٩ — ١٨٧٣ ١٣٥٧ — ١٩٣٨

الاستاذ مســـــعود الندوي

(تتمة)

مكة وجنيف :

لقد عمت فى هذا العصر مجالس الأمم
لكن الوحدة الانسانية بقيت مختفية عن الأنظار ،
والهدف الذى ترمى إليه حكمة الافرنج ، هو تفريق الأمم
وغاية الاسلام إنما هى الوحدة الانسانية .
فقد بعثت مكة إلى جنيف بهذه الرسالة :
ما ذا تريدين : « عصبة الأمم » أم عصبة بنى آدم ؟

المرأة والتعليم :

إذا كانت الحضارة الغربية مهلكا الأمومة
ففى الرجال ليس ايا أثر غير الخسران والموت الخلق ؛
والعلم الذى يجعل المرأة مجردة من خصائص الأنوثة
ما أجدره أن يسمى بالسم الناقع وما أقربه إلى دواء الموت
منه إلى العلم النافع .
وإن كانت مدرسة النساء خالية من الدين ، فلا يكون العلم
والصناعة إلا موتاً للحب والوداد .

سحر باريس :

كيف أنظر إلى ما فيه من بدائع الصناعة
فإن هذا الحرم الغربى بعيد عن الحق ؛
بل ليس هذا بحرم ، وإنما أخفى صناع الافرنج
روح الوثنية فى جثمان الحرم ؛
وإنما أسس هذا المعبد أولئك السفاكون
الذين دمروا دمشق بأيديهم .

سياسة الافرنج :

رب ! ان سياسة الافرنج أصبحت قربنك فى الملك
اللهم إلا أن عبادها الأمراء والأغنياء والملاك ؛
لقد خلقت من النار إبليساً واحداً
وخلقت هذه من الطين ألوفاً من الأبالسة .

أمر إبليس لابنائه السياسيين :

الرجل المملوك الذى لا يهاب الموت أصلاً ،
أخرجوا روح (أى تعليم) محمد صلى الله عليه وسلم من بدنه ؛
وأصبغوا أفكار العرب بصبغة الإفرنج أولا ،
ثم أخرجوا الاسلام من الحجاز واليمن ؛
والدواء الناجع لغيرة الأفغان الدينية ،
إن أخرجوا (اللاّ) من جبالهم وفيافيهم .

أوربا وسورية :

منحت أرض سورية للافرنج
نبى العفة والمواساة والرفق فى المعاملة ؛
وجاء من أوربا إلى سورية ، مكافأة بصنعها
الخمر والقامرة وكثرة المومسات .

الشام وفلسطين :

أدام الله خمارة الأحرار الفرنسيين ،
حيث ترى كؤوس حلب مملوءة بالصهباء ؛
إن كان لليهود حق على فلسطين ،
فلماذا لا يكون للعرب حق على إسبانيا ؟

هذا غيض من فيض وبرض من عد وقليل من كثير من أفكاره وآرائه الحكيمة المبثوثة فى ثنايا دواوين شعره . ومما يجدر بالاشارة إليه ثانياً أن هذه الأفكار والآراء مقتبسة من ديوانه (ضرب كليم) الذى نشر قبل نشوب الحرب العالمية الثانية ببضعة أعوام

— ٦ —

سياسته :

لم يكن صاحبنا فى شبابه من رجال السياسة ، ولم يشاطر

بني جلدته سراء الجهاد وضراءه ، وإنما اكتفى بالقريض الحافز اللامة والنافخ فيهم روح الحياة ، كما أعرب عنه بنفسه في بيت له :

إن إقبالا « مبلغ » كبير تأخذ أحاديثه بالألباب .

لكنه يغزو بالأقوال فقط ولم يتيسر له أن يكون عاملاً مجاهداً .

وبقي شاعرنا كذلك منقطعاً عن الحياة السياسية مرمياً من قومه بالجمود والازورار عن المجد والكفاح ، إلا أنه ترشح سنة ١٩٣٦ « للمجلس التشريعي » الذي قال فيه قبل ذلك :

« مجالس التشريع والاصلاح والحقوق

« كلها أدوية حلوة المذاق اخترعها الطب الغربي لتنويم أهل الشرق .

وأول ما عرفنا من مشاركته في السياسة العملية سنة ١٩٣٠ حينما رأس المؤتمر السنوي لعصبة المسلمين (Muslim Leagne) مؤتمر المائدة المستديرة (Round Jalele Conference) منعقد في (لندن) . وإنما انعقد مؤتمر عصبة المسلمين وقتئذ ليبين لأعضاء المائدة المستديرة مطالب المسلمين ، ويؤكد استمساكهم بها . فانتخب محمد إقبال رئيساً للمؤتمر ، اغياب الزعماء السياسيين وسفرهم إلى لندن بمناسبة انعقاد المؤتمر وحضور جلساته ، فخطب خطبته الرئيسية التي أحدثت ضجة عظيمة في الهند والدوائر السياسية في (لندن) ؛ والتي تناولتها صحف الهنادك والوطنيين بالنقد اللاذع وأعادت وأبدأت فيها . وذلك أن صاحبنا بين فيها نظرية جديدة للسياسة الاسلامية وهي أن تتكون مملكة إسلامية مؤلفة من ولاية كشمير ومقاطعات بنجاب والحدود الغربية الشمالية والسند في ضمن المملكة الهندية الكبرى ، لأن مسلمي الهند — في رأي صاحبنا — أمة مستقلة مغايرة للهنادك في الدين والثقافة واللغة والأوضاع والتقاليد .

وهذه هي النظرية التي جعلها بعض الشبان المقيمين في (لندن) أساساً لحركة (باكستان) .

ثم تبدلت الأحوال وتقلبت الظروف إلى أن جعلت عصبة المسلمين تطالب بتقسيم الهند ، وتأسيس مملكة مستقلة باسم (باكستان) وقد تحققت هذه الأمنية فعلا . ولست في هذا المقام بصدد البحث في السياسة الهندية وقضاياها المتشعبة ، فان لها موضعاً آخر من البحث والكلام . والذي أردت ذكره في هذا الموضع أن صاحبنا هو الذي كان أبا عذرة هذه النظرية الجديدة وأظهرها لأول مرة في خطبة عامة للصحف ، وإن كان يحلم بأمثالها كثير من السياسيين المسلمين . والمسألة أشهر من نار على علم . ومما لا بد من ذكره في هذا الصدد أن خطبته هذه غيرت مجرى مؤتمر الدائرة المستديرة ، حيث كان الأعضاء مكبين على إيجاد حل للمشكلة الطائفية ، فأبى أعضاء الهنادك قبول مطالب المسلمين وتوجسوا منها شراً . وقال الدكتور (م . ر . جيكار) بصراحة : « إنا قد اطلعنا الآن على ما تضمره أفئدة المسلمين ، ونشكر للدكتور إقبال صراحته وصدق لهجته » . وعلى كل ، فإن هذه الخطبة كانت فاتحة باب جديد في السياسة الهندية . وقد صدق الدكتور ذاكر حسين ، عميد الجامعة الملية الاسلامية ، حيث قال لصاحبنا ، طالباً إليه أن يكف عن الوقوع في حمأة السياسة :

« لقد خطبت خطبة تكفي المسلمين لمائة سنة » .

ثم ظل صاحبنا يعمل بضع سنين مع الذين كانوا يناوئون الحركات الوطنية إلا أنه لم يقدر أن يسايرهم زمناً طويلا ، لأن أولئك كانوا يعارضون الحركة ، حباً في الاستعمار والتطفل على مائدته . وأما شاعرنا فكان يناوئها بُغضاً في الهنادك ورجال سياستهم ، فاعتزل جميع الحركات السياسية ، إلا أنه كان يعطف على عصبة المسلمين (Muslim League) ويؤيد قضيتها بنفوذه وتأثيره البليغ في الشبيبة الناشئة . ومن أعماله التي تذكر وتشكر موقفه الجليل في الآونة الأخيرة من حياته بازاء القاديانيين . فانه حمل عليهم حملات شعواء قصمت ظهرهم في معقلهم (بنجاب) ، ولولا مساعدة الحكومة لهم لانعدموا ، لأن أئمة الكفر منهم كانوا يدعون من قبل ، أن المشايخ « والاولويين » هم الذين يكفروننا لتعنتهم وجمودهم . ولما آن صوب ملك شعراء آسيات كما كانت تدعوه دائماً جريدة (Light) الأحمدية اللاهورية سهام محاضراته[1] الفلسفية إلى نحورهم ، سقط في أيديهم وجعلوا يسبونه ويصبون عليه وابل اللام والشتم ، وبدأوا ينقصون من

(١) من شاء العلم الواسع والاطلاع على دسائس القاديانيين فليقرأ رسالة « الاسلام والأحمدية » (Klam aud Ahmadism) ، كحليم الأسلام رحمه الله وبرد مضجعه .

شعر الرجل الذى كانت تلهج ألسنتهم بالثناء عليه صباح مساء ، ولقبته صراحاً صحيفتهم الأسبوعية الســـائرة (Light) ، بـ (Poet Laureateof Aela) ، اللقب الذى لقبته به أولا الشاعرة الهندية الطائرة الصيت سروجنى نائيدو[1] (Sarojani Naidu) . ولم يقتصر على الحملات اللفظية بل استقال من رئاسة جمعية (حماية إسلام[2]) وكلياتها الملحقة حتى تتطهر - حسب تعبيره - من كل من لا يقول بختم نبوة النبى العربى صلى الله عليه وسلم .

- ٧ -

فترة حياته العلمية :

قد سبق لى الكلام أنه قضى عهد الطالب فى وطنه مدينة سيالكوت ولاهور ، ثم عين معلماً فى الكلية الأميرية بلاهور؛ وبعد أن اشتغل بالتدريس بضعة أعوام ، سافر إلى كيمبردج وبرلين ونال شهادات المحاماة والدكتوراة فى الفلسفة .

وبعد الرجوع من أوربا ، تعاطى المحاماة ، لكنه لم ينجح لاشتغاله بالتفكير الفلسفى والتحقيق العلمى . فانقطع إلى العلم والتفكير ورزق فيهما نجاحاً باهراً وقبولا عظيما ، فألقى محاضرات عديدة فى مختلف جامعات الهند وأوربا ، منها محاضرته التى ألقاها فى جامعة مدراس (جنوبى الهند) ، ونشرتها جامعة أكسفورد بعنوان : « التشكيل الجديد للفكر الدينى فى الاسلام » ، (Reconstruction of Religious Ihougbroin Jslam) وهو كتاب دقيق فلسفى لا يقدر على فهمه إلا من أوتى حظاً وافراً من الفلسفتين الجديدة والقديمة ، والعلوم الاسلامية . وكذلك انتدبته جامعة أكسفورد لإلقاء محاضرة (رودس) عن « الزمان والمكان » (Jimeq Space) وجدير بالذكر أنه أول شرقى انتدب لإلقاء محاضرة (رودس) . ولم نعرف مدى ما بلغ فيه من الحذق والإجادة لعدم الالمام بالموضوع . وكذلك ألقى محاضرات عديدة علمية من الاسلام والأدب الفارسى والفلسفة الجديدة فى جامعات (حيدر آباد) و (على كره) والجامعات الأخرى . ونظراً إلى مكانته العلمية منحته الحكومة (Sir) ومنحته جامعات (بنجاب) و (على كره) و (رهاكه) (شرق بنغال) شهادات شرف بالدكتوراه فى الحقوق (L L D) والدكتوراه فى الآداب (D. Litt) .

هذا ما أردت إجماله فى سيرة محمد إقبال وشعره وتوسعت فيه قليلاً ، لعدم معرفة قراء العربية بمواهبه . فان نجحت فى مهمتى ، أى مهمة التعريف بشعره البليغ وحكمه الرائعة ، فذاك حظى ؛ وإلا فليس هذا بأول مجهود ما قدر له النجاح والقبول . وحسبى أنى بذلت جهدى حسب ما كنت أستطيعه ، والعبد لا يكلف إلا ما يطيقه . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مسعود الندوى

معتمد دار العروبة للدعوة الاسلامية

(١) الشاعرة الهندية الشهيرة ، وهي من كبار زعماء الحركة الوطنية الهندية . وقد عينت والياً لمقاطعة الولايات المتحدة بعد نيل الاستقلال منذ سنة .

(٢) أكبر جمعية إسلامية فى مقاطعة (بنجاب) تسعى وراء نشر التعليم وتعميم الثقافة . لها كليات ومدارس عديدة .

صدر هذا الأسبوع كتاب :

حكايات من لقمان

FAB ES DE LOQWMAN

عربها

عبده حسن الزيات

المحامى

لدى محكمة النقض والإبرام

٣٣ حكاية قصيرة مع مقدمة قيمة للناشر الفرنسى وتمهيد بقلم المعرب .

الثمن ٨ قروش — تطلب من المكاتب المعروفة .